

التفكير المسيحي في الإسلام تاريخ الجدل في القرن الثامن ميلادي يوحنا الدمشقي نموذجاً

Christian pondering on Islam
tracing of a polemic in the Eighth Century AD (anno domini)
John of Damascus as a pattern

أ.د يوسف العايب¹

جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان

laib_34@hotmail.com

تاريخ الوصول 2021/05/20 القبول 2021/05/26 النشر على الخط 2021/09/30

Received 20/05/2021 Accepted 26/05/2021 Published online 30/09/2021

ملخص:

يعتبر يوحنا الدمشقي المؤسس الحقيقي للجدل المسيحي الإسلامي وأول من ساهم في نشأة حركة التفكير المسيحي في الإسلام، كما يعتبر كتابه الهرطقات - الهرطبة المئة - وكتابه مناقشة بين مسلم ومسيحي أهم ما كتبه عن الإسلام والمسلمين والقرآن ونبوءة محمد - صلى الله عليه وسلم - وتأتي هذه الورقة البحثية لدراسة البدايات الأولى لحركة الجدل المسيحية في علاقتها بالإسلام والمسلمين، وأهم من ساهم فيها وعلى رأسهم يوحنا الدمشقي، كما تحاول الورقة تشريح أهم أفكار يوحنا الدمشقي ومصادر معارفه عن الإسلام والمسلمين، وأهم ملامح منهجه الجدلي.

الكلمات المفتاحية: الجدل المسيحي الإسلامي، يوحنا الدمشقي، الهرطقات، المسيحية، الإسلام، جدل، تفكير.

Summary:

John of Damascus having been thought out as the founding father of the Christian-Islamic Rhetoric arises, and the Pioneer to the very first contribution to the dawning of the Christian thought movement in Islam. His book The Heresies - The Hundred Heresies - and his book "An arguing between a Muslim and a Christian", were considered as his major world ever either on Islam and Muslims, or on The Qur'an and the prophethood of Muhammad peace and blessings be upon him - Therefore, the current research paper attempts to shed light on the very initial stages of the Christian dialectic movement in its relationship with Islam and Muslims, and those who contributed the most to its enhancement, lead indisputably by the eminent John of Damascus. Thus, we endeavour to achieve through this diligent inquiry the main leading ideas of John of Damascus, but chiefly the documents and sources from where he gathered knowledge about Islam and Muslims, tackling the major characteristics to his argumentation's perspective and reasoning outlook.

Key words in Arabic: Christian-Islamic thoughts, dialectical reasoning. John of Damascus, heresies, Christianity, Islam, polemic, argumentation, pondering.

البريد الإلكتروني: laib_34@hotmail.com

¹ - المؤلف المرسل: يوسف العايب

مقدمة:

من الطبيعي جدا أن يدافع أهل الأديان والملل عن معتقداتهم وينشؤ منظومة كلامية دفاعية وجدلية من أجل تثبيت وإقرار عقائدهم وأفكارهم، وبالمقابل نقد ومناقشة الآراء الأخرى المخالفة، وهذا ما عرفته البشرية قديما وحديثا من جدل ونقاش ومناظرات وكتابات دفاعية وأخرى جدلية تحاول تبرير الأفكار الدينية من جهة ودحض ما هو مخالف من جهة ثانية.

وإذا رجعنا إلى تاريخ العلاقة بين اليهودية والمسيحية أو بين الإسلام واليهودية والمسيحية وجدنا الكثير من هذه الكتابات الصادرة عن كل ديانة من هذه الديانات الثلاثة والموجهة إلى الأديان الأخرى سواء الكتابية منها أو غير الكتابية.

ولعل الكتب الجدلية بين الإسلام والمسيحية قد حظيت بالكم الأوفر من الكتابات من كلا الجانبين، والمتفحص لببليوغرافية ما أنتجه المسلمون في الجدل والمناظرة يلحظ أن أغلب الكتابات كانت موجهة للرد على الفكر المسيحي، وهذا له ما يبرره من الناحية الواقعية، إذ كان النصارى أكثر أهل الأديان تفاعلا مع المسلمين دفاعا عن دينهم وجدلا للمسلمين منذ البدايات الأولى للإسلام.

وكما حفظ لنا التاريخ الكثير من الكتب الجدلية للمسلمين ضد النصارى، حفظ لنا كذلك العديد من الكتب التي ألفها النصارى ردا على المسلمين ودفاعا عن عقائدهم، ومن أوائل النصارى الذين كتبوا في الجدل المسيحي الإسلامي وساهموا وأسسوا للتفكير المسيحي في الإسلام منصور بن سرجون بن منصور المعروف بيوحنا الدمشقي.

وقد كتب رده وجدله ضد المسلمين في القرن الثامن الميلادي، وهو رد وجدل متقدم جدا نظرا لظهور الإسلام في منتصف القرن السابع، لذا يعتبر يوحنا الدمشقي عند كثير من الباحثين خاصة المسيحيين منهم المؤسس الحقيقي للجدل المسيحي الإسلامي، وأول من ساهم في حركة التفكير المسيحية في الإسلام.

تحاول هذه الورقة البحثية تحليل ما كتبه يوحنا الدمشقي ضد الإسلام خاصة في مؤلفيه: الهرطقات والمحاورة بين مسلم ومسيحي، من أجل بيان مصادر معلوماته ومعالجه وأهم الأفكار التي جاءت في كتبه ضد الإسلام والقرآن والمسلمين ونبوءة محمد - صلى الله عليه وسلم -

وتتكون المقالة من مقدمة، ثم بيان بواكر الجدل المسيحي الإسلامي، ثم الكلام عن كتابات يوحنا الدمشقي ضد الإسلام، ثم مصادر يوحنا الدمشقي في جدله ضد الإسلام، ثم خصائص أسلوب يوحنا الدمشقي الجدلي، وأخيرا آراء يوحنا الدمشقي حول الإسلام، وخاتمة.

أولا: بواكر الجدل المسيحي الإسلامي:

يمكن تقسيم تاريخ الجدل المسيحي الإسلامي إلى مرحلتين كبيرتين:

المرحلة الأولى:

وهي مرحلة متقدمة في تاريخ علاقة الكنيسة المسيحية بالدين الجديد، وقد تميزت بالجدل والرد على الإسلام ومحاولة بيان تحافته وغلطه، ومن بين أهم رجالات المسيحية الأوائل الذين حاولوا الرد على الإسلام ونبيه، يوحنا الدمشقي وتلميذه أبو قرة:

- موقف يوحنا الدمشقي:

تاريخياً يعد أكثر الدارسين والمؤرخين **يوحنا الدمشقي** أول من حاول تأصيل هذا الاتجاه الفكري والديني المناهض للإسلام والتشكيك في رسالة نبيه، وذلك في كتاب له لقي انتشاراً لدى أبناء ملته وضعه تحت عنوان: "De Haeresbuis" أي "الهرطقة"¹ خصص أحد فصوله للحديث عن الإسلام ونبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- تحت مسمى "هرطقة الإسماعيليين" حيث ركز على البرهنة بأن نبوة محمد ما هي إلا زيف وافتراء.²

أما الكتاب الثاني الذي تحدث فيه **يوحنا الدمشقي** عن الإسلام ونبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- هو "المنافشة بين مسلم ومسيحي" الذي هو عبارة عن أجوبة على المسلمين في بعض النقاط. وأهم ما ذكر في كتابه الهرطقات خاصة الهرطقة رقم مائة (100):

- أن الإسماعيليين قبل الإسلام كانوا يعبدون الأصنام ونجمة الصبح يسمونها "خَبَار" وأن الحجر الأسود كان رأس ذلك الصنم، وبذلك فهو يتهم المسلمين بعبادة الأصنام.³
- تعلم محمد -صلى الله عليه وسلم- على أسفار العهدين القديم والجديد على راهب آريوسي، وتعلم منه، وهذا الشبهة استمرت إلى وقتنا الحالي.⁴
- لم يرى في الإسلام إلا أنه بدعة منحرفة عن المسيحية.
- اتهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه مهتم بشهواته من خلال اتهامه بكتابة سورة النساء لكي يشرع لطمحاته، ومن خلال سرد منحرف لقصة زواج بالسيدة زينب رضوان الله تعالى عليها.⁵
- اتهم النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- بأنه منتحل النبوة، وقد أعلن ذلك بعد أن أحرز لنفسه حظوة لدى الشعب بعد تظاهره بالتقوى.⁶
- وبناء على رأي **يوحنا الدمشقي** تشكلت الرؤية المسيحية للإسلام ونبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- في الدراسات اللاهوتية المسيحية خاصة الشرقية، وكانت لمكانته الروحية بين آباء الشرق المسيحي، ومركزه السامي في البلاط الأموي من عناصره ثقله التي مكنت لرأيه في الحكم على الإسلام.⁷
- وسأأتي تفصيل آراء **يوحنا الدمشقي** في ثنايا ما تبقى من البحث.

¹ تعريف الهرطقة: الهرطقة عند المسيحيين هي البدعة في الدين، وهي من أصل يوناني، والنسبة إليها هرطوقي. نقلاً عن: (موسوعة عالم الأديان، مجموعة من كبار الباحثين، ط. ب. مفرج، ج: 8، ص: 71).

² مصطفى بوهوب، الاجدل الديني المسيحي الإسلامي تاريخه وموقف الإسلام منه، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات، ص: 09.

³ القديس **يوحنا الدمشقي**، الهرطقة المئة، 1997، ص: 49.

⁴ المصدر نفسه، ص: 50.

⁵ المصدر نفسه، ص: 56.

⁶ المصدر نفسه، ص: 50.

⁷ أنجيليكا غريغوري زياكا، الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمجادلة، ص 07.

- موقف القديس ثاودروس أبو قرّة:

تذكر أنجيليكا غريغوري زياكا في مقال لها أن تلميذ يوحنا الدمشقي القديس ثاودروس أبو قرّة¹ من الأدباء المسيحيين الذين كتبوا باللغة العربية للدفاع عن المعتقدات المسيحية ضد كل من اليهود والمسلمين، وتنوعت كتاباته بين الأعمال الدفاعية والهجومية واللاهوتية وكلها تقريبا ضد الإسلام².

ومن أهم أعمال ثاودروس أبو قرّة: "ضد البعثة النبوة المحمدية" وهو عبارة عن محاوره جرت بين مسلم ومسيحي. وقد ذكرت أنجيليكا غريغوري زياكا مقتطفاً من هذا الحوار، يسأل فيه المسلم ألسقف السؤال التقليدي للمسلمين وهو: «لماذا لا يؤمن المسيحيون بنبوة محمد؟ أي أن الإله، رغم أن النبوة الإنجيل، فيجب الأسقف أنه لم ترد نبوة عم محمد في الإنجيل، وكذلك لم يأت محمد بمعجزات تشهد لصدق نبوته³»

ومن أعماله الهجومية أيضاً كما تذكر أنجيليكا «تملك الشيطان لمحمد» و«سمو الزواج بوحدة فقط» وقد ردّ على أبي قرّة المردار، أبو موسى عيسى بن صبيح معتزلي من بغداد توفي حول 840⁴، وله كتاب الرد على النصارى وكتاب على أبي قرّة النصارى.

وعلى كل حال فإن أعمال كلا من يوحنا الدمشقي وتلميذه ثاودروس أبو قرّة تعتبر من بين أهم الأعمال في العلاقة الجدلية بين المسيحية والإسلام، كما تذكر أنجيليكا غريغوري زياكا⁵.

المرحلة الثانية:

وتمتد تقريبا من القرن التاسع ميلادي إلى منتصف القرن الرابع عشر، وتتميز هذه المرحلة بتزايد الكتابات الهجومية على الإسلام ونبهه، وقد مثلت كتابات كلا من يوحنا الدمشقي وتلميذه ثاودروس القاعدة الأساسية لمحمل الحجج المستعملة في هذه الفترة وإن اختلف الأسلوب والطريقة فقط، وقد ذكرت أنجيليكا غريغوري زياكا في مقال لها بعنوان: الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمجادلة، أهم الأعمال في هذه الفترة ومنها:

¹ ثاودروس أبو قرّة: أحد آباء الكنيسة الشرقية وعلم من اعلام اللاهوتيين المسيحيين العرب، ولد في الرها، وفيها تلقى العلم، ثم تهرب في دير القديس يوحنا الدمشقي، فخرج فيها، انتخب مطران على الملكية في حران، ولم تطل إقامته فيها، فعاد إلى مارسابا، وهناك أنشأ رسالة في العقيدة ثم تحول إلى داعية متحول، يدافع عن الدين المسيحي، ثم اقام مدة في بغداد، وأكثر الظن انه توفي فيها، كان أبو قرّة يجيد اللغات السريانية والعربية واليونانية، كتب في السريانية ثلاثين مقالا مادحا فيها رأي الأرثوذكسية، ولم يعرف عنها شيء، وكتب في اليونانية أربعاً وأربعين مقالة نشر بعضها، أما في العربية فقد تفوق في مؤلفاته على اللغتين السابقتين حجماً، ومعرفة، وعظمة، فبلغ عدد تأليفه منها ثلاثين مؤلفاً. (عن: موسوعة الأعلام: العرب والمسلمين والعالميين، ج: 1، ص: 81)

² أنجيليكا غريغوري زياكا، الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمجادلة، مجلة التسامح، المجلد 2010، العدد 29 (31 مارس/آذار 2010)، ص 32-1، 32، ص.

³ المرجع نفسه، ص 244

⁴ أبو موسى عيسى بن صبيح الملقب: بالمرداز، البصري، من كبار المعتزلة أوتاب التصانيف الغريبة، المكتبة الشاملة الحديثة، <https://al-maktaba.org/book/10906/7034>، تاريخ الزيارة 2020/02/26 على الساعة 13:18.

⁵ أنجيليكا غريغوري زياكا، مرجع سابق، ص: 245.

- «تاريخ تيوفانيس المعترف» يعتبر تيوفانيس أول من ادعى من الكتاب المسيحيين المدافعين مرض النبي محمد -صلى الله عليه وسلم بالصرع، وبهذا فتح المجال خاصة امام الكتاب البيزنطيين الذين حدوا حدوه في هذا الاتهام.
- «تاريخ مقتضب لجورج الراهب»¹ الذي تأثر كثيرا بتيوفانيس، وقد خصص فصلا في كتابه للحديث عن الإسلام ونبيه العربي فيبدأ «بعرض موجز لحياة محمد، ويحكي قصة خدمته لخديجة قريته الثرية التي تزوجها، ثم يتعرض لاختلاطه بالمسيحيين واليهود أثناء رحلته بالقوافل في فلسطين، واقتباسه لأقوال وتعبيرات الكتاب المقدس، ويزعم جورج أن محمداً تتلمذ على راهب مهترق أريوسي فيقول: «ومحمد هذا عدو لله ملحد، فلقاؤه باليهود والمسيحيين المزعومين أريوسيين ونساطرة، ووجوده وسط اليهود جعله يأخذ عنهم- أي اليهود - الوجدانية، وعن الأريوسيين خلق الكلمة والروح، وعن النساطرة عبادة البشر وأعدّ منها جميعا ديناً له»²، كما واصل جورج الراهب اتهاماته للنبي -صلى الله عليه وسلم خاصة في معتقداته في الجنة والوحي والقرآن، كما اعتبر أقوله هوسا وإلحادا.
- نيكيتا البزنطي: يعتبر نيكيتا أهم ممثل للفكر المناهض للإسلام في النصف الثاني من القرن التاسع، ومن أهم أعماله: «دحض للكتاب المزيف من قبل محمد العربي»،
- رسالة لاون أغسطس الإمبراطور إلى عمر ملك السراسنة عن: «حقيقة وأسرار الإيمان المسيحي واختلافه عن هرطقة وتجديف المسلمين»
- رسالة أريثاس أسقف قيصرية إلى أمير دمشق: «رسالة إلى أمير دمشق» والملاحظ على هذه الرسالة نبرة السخرية والتهمك التي تناول بها المؤلف القضايا الإسلامية وخصوصا شخصية محمد ونبوته، ومحاولة الإسلام في نظره أن يساوي محمد بالشخصيات التاريخية العظيمة الواردة في الكتاب المقدس.
- إفثيميو سزيغافيتوس «الدرع العقائدي: فصل 18: ضد السراسنة» في هذا الكتاب يعرض صاحبه للتعاليم المسيحية بالشرح، ثم ينتقل للحديث عن الهرطقات والتي من بينها الإسلام، وفي حقيقة الامر أن ما كتبه إفثيميو ما هو إلا تجميع لنصوص الآباء من قبله وخاصة يوحنا الدمشقي.
- نيكيتا خونيائي: «كنز الإيمان الأرثوذكسي الفصل 20: عن دين المهاجرين»: في هذا الكتاب يعرض صاحبه للهرطقات المختلفة والصراعات العقيدية في وقته، ويخصص الفصل العشرين لدراسة الإسلام، ويقرر بأن محمداً -صلى الله عليه وسلم- استقى تعاليمه من الرهبان الأريوسيين، والنساطرة، ويرفض الوحي الإسلامي، كما يدين تعدد زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم-³

¹ من مؤرخي القرن التاسع الميلادي، يعرف باسم جورج الراهب أو الأثيم، وال نعلم عنه سوى كونه راهباً عاش ((35 (أثناء حكم ميخائيل الثالث) 867-842م). ينظر: أنجيليكا غريغوري زياكا، المرجع نفسه، ص 248

² أنجيليكا غريغوري زياكا، مرجع سابق، ص: 249.

³ أنجيليكا غريغوري زياكا، مرجع سابق، ص 15.

- إفيثيموس الراهب «محاورة عن الدين مع فيلسوف سراسني بمدينة ميليتيني»: وهذا النص يقسم إلى قسمين: الأول دفاعي والثاني هجومي، فالأول يتضمن اعتراضات واتهامات للاهوت الإسلامي، والقسم الثاني: يمثل تجميعاً لنصوص وآراء مختلفة تدحض نبوة محمد والوحي الإلهي (القرآن)، والتعاليم الأساسية للإسلام.
- بارثو لوميو سالر هوي «تفنيد هاجري»: يعتر هذا الكتاب من الكتاب الجدد متعصبين في نقدهم للإسلام، وذلك لأن أسلوبه لاذع جداً، يذكر عن نفسه فيقول: "مررت على جميع كتبهم، ولم أجد فيها شيئاً نافعا"، ومن بين أهم ما ذكره من انتقادات هو محاولة مساواة المسلمين بين محمد والمسيح، وجعله شخصية مثالية، كما أنه ينفي رسالة محمد ونبوته، ويقص غرائب كثيرة حول حياته، ويقول بأن حياته وأخلاقه لا تؤيد نبوته، كما أن قرآنه عبارة عن خليط من الحقائق والضلالات، ومصدرها الراهب بحيرى¹.

ثانياً: كتابات يوحنا الدمشقي ضد الإسلام:

أ - حياته ومؤلفاته:

هو يوحنا الدمشقي من أسرة دمشقية نصرانية ثرية . واسمه منصور بن سرجون بن منصور²، يعتقد بعض الباحثين أن أصل يوحنا الدمشقي يوناني بينما يذهب آخرون إلى أن أصله من قبيلتي كلب أو تغلب³.

ولد يوحنا الدمشقي بين سنتي 655 و660 في دمشق⁴، وتعلم من أستاذه قزما Cosmas علم البيان باللغة اليونانية، والطبيعات وعلم الحساب، وعلم الهندسة، والموسيقى والتنجيم، وعلم اللاهوت، والفلسفة، وكان يكتب تأليفه باليونانية، وتكلم في بالأرامية والعربية⁵.

تنسب ليوحنا الدمشقي عدة مؤلفات نذكر منها:

- **ينبوع المعرفة:** وهو كتاب عرض فيه العقيدة الكاثوليكية، وقدمه بمقدمة فلسفية تاريخية والراجح أنه ألفه بعد سنة 742م⁶.
- **المدخل الاولي للعقائد:** عبارة عن مبحث فلسفي قصير، وضعه قبل ينبوع المعرفة.
- **كتيب في العقيدة الحقيقية:** عبارة عن إعلان إيمان مفصل، يرجح أنه كتب قبل سنة 726م.

¹ المرجع نفسه، ص: 16.

² Moshe Gil : A history of Palestine 634-1099 A.D Translated From Hebrew by Ethel Broido. Cambridge, 1997. P. 443.

³ حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، 1983، ص 113.

⁴ Daniel Sahas , Jean de Damas sur L'Islam, l'hérésis des Ismaélites. Edition E J Brill, Leiden 1972, pp. 38-39.

⁵ Daniel Sahas : op. cit . pp.39-41

⁶ جوزيف نصر الله، منصور بن سرجون المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي، ت: أنطون هبي، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، ط: 1، 1991، ص: 172.

- **مبحث في الثالوث الأقدس:** موجز عقائدي على طريقة السؤال والجواب عن الله والثالوث والتجسد، يرجح أنه من صياغة غير يوحنا.
- **بيان الإيمان القويم وشرحه:** يعود إلى ما قبل سنة 726م.
- جدله ضد الذين يرذلون الأيقونات المقدسة.
- الرسالة الموجهة إلى الأرثوذكس جوردانس بشأن النشيد المثلث التقديس.
- جدل حول الطبيعة المركبة ضد عديمي الإدراك.
- جدل ضد النساطرة¹.

ب - كتاباته عن الإسلام:

تحدث يوحنا الدمشقي عن الإسلام في كتابين وبشكل مختصر بالمقارنة إلى كتاباته الدفاعية والليتورجية، الكتاب الأول وهو "الهرطقة" وتعرض فيه بالنقد للإسلام في الهرطقة رقم مائة، حيث رد فيه على ما يوجهه المسلمون للمسيحيين من انتقادات لعقائدهم، كما نقد فيه بعض ما يتعلق بالإسلام من عقائد وشرائع وقرآن ونبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- وفي الكتاب الثاني الذي يعتبر محاورة جدلية بين مسيحي ومسلم يحاول فيه يوحنا الدمشقي الأجوبة على الأسئلة الكلامية التي تحاول النيل من المعتقد المسيحي في بعض النقاط².

ومما يلاحظ على كتابات يوحنا الدمشقي على الإسلام ومعتقداته، معرفته الدقيقة بالدين الإسلامي، بحيث أنه كان يستقي معلوماته مباشرة من المصادر الإسلامية وعلى رأسها القرآن الكريم، ومما سهل له هذا التعامل المباشر معرفته باللغة العربية وإجادته لها حيث كان يجادل ويتناقش مع أصدقائه باللغة العربية في بلاط الخلافة في مواضيع كثيرة منها المواضيع الدينية.

1 - الهرطقة المئة:

في هذا الكتاب الذي يحمل في الأصل عنوان محددًا وإنما يعرف فقط باسم الهرطقة الأولى بعد المائة، والذي هو جزء من الكتاب الكبير ليوحنا الدمشقي المعنون بـ: "ينبوع المعرفة" يتكلم فيه يوحنا الدمشقي عما أسماه بـ "هرطقة الإسماعيليين"، ولا يتطرق فيه يوحنا الدمشقي للإسلام باسمه الحقيقي أبداً في كتابه، كما أنه لا يستعمل فيه لفظة "مسلم" إطلاقاً، ويضع مكانها كلمة "ساري" نسبة إلى سارة زوج النبي إبراهيم -عليه السلام-

يرجح أن يكون قد كتب يوحنا الدمشقي كتابه هذا بعد سنة 743 م، عندما بلغ سنه أكثر من 65 سنة، أي بعد فراقه دمشق وانقطاع اتصالاته بالمسلمين هناك لأكثر من 30 سنة، وهو ما يفسر أنه كان يكتب عن الإسلام من ذاكرته البعيدة، وهو ما برر

¹ نفس المرجع، ص: 174 و 175.

² يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص: 39.

به المسيحيون عدم دقته في بعض المسائل المتعلقة بالقرآن وسنة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-¹، وقد يكون هذا التبرير صحيحاً، كما قد يكون خاطئاً.

2 - مناقشة بين مسلم ومسيحي Disputatio:

تتكون هذه المحاور من تسعة حوارات متفاوتة في الطول والقصر، والأطول فيها هو الأول إذ يشكل نصف نصّ المحاورات، وتتألف المحاورات من مواضيع مختلفة بحيث تشكل أجوبة المسيحي إعتراضات جديدة من طرف المسلم.

وعموماً يمكن إجمال الموضوعات الأساسية للحوارات في موضوعين اثنين كبيرين هما:

الأول: حرية الإنسان وعدالة الله: الحوار الأول والثامن.

الثاني: حقيقة المسيح وأمه مريم: عليهما السلام: الحوارات 2، 3، 4، 5، 6، 7، 9.

وهدف هذا الكتاب هو تقديم مادة أولية للمسيحيين يستطيعون بها الرد على المسلمين والبرهنة على عقائدهم وإيمانهم بأسلوب جدلي دفاعي، خاصة فيما يتعلق بكلمة الله وموضوع ألوهية المسيح².

ثالثاً: مصادر يوحنا الدمشقي في جدله ضد الإسلام:

أ - الكتاب المقدس:

أهم مصدر اعتمد عليه يوحنا الدمشقي في مجادلاته ضد الإسلام هو الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، واستدل به يوحنا الدمشقي في الرد على تساؤلات المسلمين فيما يتعلق ببعض العقائد المسيحية ككيفية نزول الرب في رحم امرأة، فاستدل يوحنا بنص من إنجيل لوقا: "إن الروح يحل عليك وقوة العلي تظلك"³، وكطرد سارة لهاجر من بيتها لما ولدت بالنبي إسحاق -عليه السلام- فاستدل بنص من سفر التكوين تقول فيه هاجر للملك: "إن سارة قد طردتني فقيرة"⁴، وغيرها من النصوص الكثيرة التي استعملها يوحنا الدمشقي في استدلالته المختلفة.

ب - القرآن الكريم:

اعتمد يوحنا الدمشقي كذلك نصوص القرآن الكريم للتدليل على صحة العقائد المسيحية من جهة، وإبطال دين الإسلام من جهة ثانية، وهذا قد يدل على أن يوحنا الدمشقي كان على اطلاع لا بأس به بالقرآن الكريم وبلسانه العربي، خاصة إذا علمنا أنه كان يعيش بين ظهرائي المسلمين وفي بيئة عربية⁵.

¹ المصدر نفسه، ص: 42.

² القديس يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة: ص: 48.

³ لوقا: 1/25.

⁴ لم أقف على النص بهذه العبارة والثابت في سفر التكوين: " ((!فَجَلَسَتْ بُحَاهُ، وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا وَبَكَتْ وَسَمِعَ اللَّهُ صَوْتَ الصَّبِيِّ، فَنَادَى مَلَأُكَ الرَّبُّ هَاجَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا)): مَا لَكَ يَا هَاجِرُ؟ لَا تَخَافِي، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ صَوْتَ الصَّبِيِّ حَيْثُ هُوَ" التكوين: 17/21.

⁵ جوزيف نصر الله، منصور بن سرجون المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي، ص: 7 وما بعدها.

وكمثال على هذا استدلاله بالقرآن الكريم ليبين أن مريم عليها السلام قد اصطفاها الله على نساء العالمين، وأنها أحصنت فرجها فنفع الله فيه من روحه، ويستدل على هاتين القضيتين بنصوص من القرآن الكريم من سورتي آل عمران والتحريم.

فعلى القضية الأولى يستدل بقوله تعالى من سورة آل عمران: "وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ"¹.

وعلى القضية الثانية يستدل بقوله تعالى في سورة التحريم: "وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَوَاتِلِ"² ولا يذكر النص كما هو وإنما يذكر معناه فقط.

ت - الروايات الشفهية:

من المصادر التي اعتمدها يوحنا الدمشقي في الرد على الإسلام ما نقله من روايات شفهية متداولة في الأوساط المسيحية خاصة، وهذا لأننا لم نجد لها أصلاً لا في القرآن ولا في السنة ولم يصح لها سند، ولا يصلح لها أصل ولا فرع، لأن الهدف منها هو التشنيع على نبي الإسلام، والإفتراء على الإسلام وتعاليمه وشرائعه وعقائده وعلى القرآن وما جاء فيه من قصص وعبر وسير.

ومن أمثلة ما ذكره يوحنا الدمشقي نقلاً عما يتداول بينهم من روايات شفهية، سبب تقديس المسلمين للحجر الأسود أن إبراهيم عليه السلام ربط الناقة به عند تضحيته بإسحاق -عليه السلام-، والمغالطة واضحة في محاولة تمرير أن الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل عليه السلام، والمغالطة الثانية أن إبراهيم عليه السلام قد جامع زوجته هاجر على هذا الحجر، وهي محاولة للقول أن المسلمين يقدسون المذنب والنجس، "فيقول بعضهم إن إبراهيم قد جامع هاجر عليه، وآخرون إنه قد ربط الناقة به عند تضحيته بإسحاق"³.

ث - المخالطة:

من مصادره كذلك في المجادلة مخالطته للعرب والمسلمين، وهو ما أكسبه معرفة بتدين المسلمين وأخلاقهم وسلوكاتهم، وحسب ما ذكره دانيال ساهاس (Daniel Sahas) في كتابه "يوحنا الدمشقي والإسلام" أن يوحنا الدمشقي تلقى تكويناً إسلامياً عربياً في البيئة العربية الإسلامية الأولى التي عاش فيها، حولت له القدرة على معالجة المسائل الدينية المتعلقة بالقرآن ودقائق الفقه⁴.

¹ آل عمران/ 42

² التحريم/ 12

³ القديس يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص: 55

⁴ Daniel Sahas, op.cit , p : 13.

رابعاً: آراء يوحنا الدمشقي حول الإسلام:

➤ موقفه من الإسلام:

1 - تسمية الإسلام:

"هناك أيضاً ديانة الإسماعيليين التي لا تزال تسيطر في أيامنا وتستميل الشعوب... إنها تتخذ اسمها من إسماعيل بن إبراهيم وهاجر، لهذا السبب يدعوهم الهاجريين أو الإسماعيليين، كما يدعوهم أيضاً ساريين، أي الذين جردتهم سارة من الميراث"¹2

ويذكر الباحث التونسي محمد حسن بدر الدين³ في مقال له أنه عجيب حقاً أن يستعمل مسيحي بين القرنين السابع والعاشر للميلاد مصطلح السراسنة، لأن هذا المصطلح إنما أطلقه الأوروبيون على المسلمين في إسبانيا وإفريقيا والشرق في زمن متأخر. وكان أول انتشار له عام 1080 م في أنشودة زولان، ثم شاع واستخدم من قبل الكتاب المسيحيين مع بداية الحرب الصليبية الأولى⁴.

وفي موضع حديث عن المسيح -عليه السلام- ورد على قول المسلمين بأن النصارى مشركين، يصف المسلمين بـ "مشوهي الإله" ذلك أنه يدعي أن الإسلام شبه الإله بالحجر والخشب والجوامد، فهم بذلك شوهوا صورة الإله: "ولكن الأحرى بكم فعلاً أن تقولوا بأن له شريكاً من أن تشوهوه جاعلين إياه شبيهاً بحجر أو خشب أو شيء ما من الجوامد ولأجل ذلك أنتم تنطقون بالكاذب عندما تدعوننا مشركين، ونحن ندعوكم بالمقابل مشوهي الله"⁵

2 - وصفه الإسلام:

- وصف الإسلام بالهرطقة: "والذي أنشأ هرطقته الخاصة..."⁶
- وصف الإسلام بالافتقار من نصوص العهدين القديم والجديد: "والذي أنشأ هرطقته الخاصة بعد أن تعرف بالصدفة على العهدين القديم والجديد..."⁷
- وصف الإسلام بدين الوثنية: "لقد كانوا إذن وثنيين وكانوا يعبدون نجمة الصبح والزهرة التي يدعوها خبار في لغتهم على وجه التحديد..."⁸

¹ تك: 18-1 / 21

² يوحنا الدمشقي، الهرطقة مئة، ص: 49

³ محمد حسن بدر الدين، بواكير الجدل الكلامي المسيحي الإسلامي جدل يوحنا الدمشقي مع المسلمين نموذجاً، مؤنون بلا حدود ظن قسم الدراسات الدينية،

22 مارس 2018، ص: 10

⁴ ريتشارد سودرن، صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ترجمة: رضوان السيّد، دار المدار الإسلامي، ط2، بيروت، 2006 ص. 68

⁵ نفس المصدر، الهرطقة المئة، ص: 54.

⁶ نفس المصدر، ص: 50.

⁷ نفس المصدر، ص: 50.

⁸ نفس المصدر، ص: 49.

إن أول من هاجم الإسلام من المسيحيين الشرقيين هو يوحنا النقيوسي القبطي الذي شهد الفتح الإسلامي واتصف بالتعصب ضد المسلمين، فوصفهم بالوثنيين، وبذلك يكون ثاني كاتب نصراني يلصق تهمة الوثنية بالمسلمين بعد أسقف بيت المقدس البيزنطي صفرونيوس¹.

ويعلق على اعتناق بعض النصارى في مصر للإسلام بقول: "قوم ارتدوا عن دينهم المسيحي ودخلوا في دين البهائم"². وهذه التهم هي نفسها التي بقيت تتناقل من جبل ذلي جيل إلى أن وصلت اليوم إلى الاستشراق الحديث، وبعض التيارات الحديثة التي تحاول أن تجعل من الإسلام نسخة مشوهة عن اليهودية والمسيحية:

➤ موقفه من النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-:

1 - وصفه للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم-

- الانتحال والتأثر بالفكر الآريوسي:

"قام فيما بينهم نبي منتحل" (النبوة) اسمه محمد والذي أنشأ هرطقته الخاصة بعد أن تعرف بالصدفة على العهدين القديم والجديد وبعد أن تحاور كما يبدو مع راهب آريوسي...."³.

وهذه من التهم المتداولة إلى يومنا هذا. والمصادر التاريخية لا تذكر شيئاً من هذا، كما أن يوحنا الدمشقي لم يستدل على مقولته هذه بشيء من الأدلة، وأن مصادرنا التاريخية إنما تذكر أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- تحدث مع بحيرا الراهب، والتقى ورقة بن نوفل⁴.

ولقد نقل الكتاب الغربيون والمستشرقون فيما بعد هذه التهمة عن يوحنا الدمشقي وبنوا عليها مجموعة من النظريات والشبهات التي تزعم أن النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- إنما بنى إسلامه نقلاً عن اليهودية والمسيحية ومن التعلم من أحبار اليهود والنصارى.⁵

- الاحتيال والتظاهر بالتقوى:

"وبعد أن أحرز لنفسه حظوة لدى الشعب عبر تظاهره بالتقوى، كان يلح بأن كتاباً آتياً من السماء قد أوحى به إليه من الله، وفي إنشائه لبعض المعتقدات المثيرة للضحك في كتابه نقل إليهم هذه الطريقة في عبادة الله"⁶

- إنكار بشارة الأنبياء بالنبي محمد -صلى الله عليه وسلم-:

"أو من أعلن من الأنبياء أن سيأتي نبي كهذا؟؟؟"⁷

¹ علي بن محمد عودة الغامدي، يوحنا الدمشقي رائد العدوان الفكري على الإسلام، ط: 1، 2015، ص: 11

² بتلر، فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أبو حديد بك، القاهرة، 1996م، ص 30.

³ يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص: 50.

⁴ الزنجشيري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت، 1407 هـ، ج2، ص. 635

⁵ خميس صالح محمد الغامدي، العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، سالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1414، ص: 89

⁶ يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص: 50

⁷ المصدر نفسه، ص: 52

- اتهامه بتأليف القرآن:

"محمد هذا، كما تكلم كذلك أنشأ مؤلفات سخيفة وأعطى اسما لكل منها ¹..¹، وهنا ينتهج يوحنا الدمشقي منهج المشركين في السخرية من الأنبياء والمرسلين والذين قال فيهم المولى عز وجل: " وَلَقَدْ اسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ"².

وفي حديثه عن ناقة صالح التي ينكرها أصلا لأنها لم ترد في الكتاب المقدس يتهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بتأليف هذه القصة وهذه السورة من القرآن فيقول: "توجد أيضا السورة التي تتحدث عن ناقة الله فبشأنها يقول إن ناقة أرسلها الله..³"

وفي سرد هذه القصة يسخر يوحنا من الجنة التي وصفها النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن الأنهار الموجودة فيها -لبن، خمر، ماء، عسل- "ومنها ينبع نهر اللبن الذي لكم والذي تتفوهون بالحماقات في شأنه"⁴، كما يصف النبي -صلى الله عليه وسلم- بالتكبر "وعبثا يتكبر نبيكم"⁵، كما يسخر من حال المسلمين وهم في الجنة لأنهم إذا شربوا الخمر فيها سكروا وبذلك يفقدون متعة التمتع بالجنة: "والسكر يجعلكم تلهون وترقدون وهكذا تنسون متع الجنة"⁶، وفي ختام القصة يصف المسلمين بالبهايم لأنهم يتبعون النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما يقول لهم دونما سؤال: "إلى حيث أنتم موشكون على الولوج بدوركم كالبهايم"⁷

كما اتهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بتأليف سورة المائدة، وزعم فيها يوحنا الدمشقي أن محمدا كتب فيها أن المسيح طلب من الله مائدة فأنزله الله عليه، محرفا القصة الحقيقية الواردة في سورة المائدة والتي فيها أن أتباع المسيح هم من طلبوا من المسيح أن ينزل الله عليهم مائدة تكون لهم عيدا فأنزله الله بعد طلب عيسى -عليه السلام- وبعد تواعد الله تعالى أن من يكفر بعد ذلك فإنه معذبه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين، يقول يوحنا الدمشقي متعكبا النبي -صلى الله عليه وسلم- بالكتابة في هذا الموضوع: "قال محمد أيضا سورة المائدة، وفيها يقول أن المسيح طلب من الله مائدة فمنحت له، وقد اجابه الله بحسب زعمه لقد منحتك وأخصائك مائدة لا يعترها فساد"⁸

ويتهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بتأليف سورة البقرة، كما يسخر من هذه الأسماء، التي في نظره تثير الضحك: "وقال أيضا سورة البقرة، وعبارات أخرى مثيرة للضحك"⁹

¹ المصدر نفسه، ص: 55

² سورة الأنعام، 10.

³ المصدر نفسه، ص: 57

⁴ المصدر نفسه، ص: 58

⁵ المصدر نفسه، ص: 59.

⁶ يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص: 59.

⁷ المصدر نفسه، ص: 59

⁸ المصدر نفسه، ص: 60.

⁹ المصدر نفسه، ص: 60

- اتهامه بالشهوانية:

بعدها طعن يوحنا الدمشقي في موضوع تعدد الزوجات في الإسلام برر سبب وجود التعدد في الإسلام بقصة اتهم فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- بالشهوانية وحبه للنساء وزناه -حاشاه صلى الله عليه وسلم-، وأنه تزوج زوجة زيد -رضي الله عنهما- لأنه وقع في حبها، متغافلاً القصة والسبب الحقيقي من وراء تزوج النبي -صلى الله عليه وسلم- بزوجة زيد والذي هو إبطال التبني الذي كان شائعاً في المجتمع الجاهلي، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- تزوج زوجة زيد بعد أن قضى منها وطراً وطلقها¹، يقول يوحنا الدمشقي: "ولقد سن محمد هذا القانون للسب التالي: فلقد كان لمحمد عشير اسمه زيد، وكان لهذا الرجل امرأة جميلة شغف بها محمد، وعندما كانا جالسين معا قال محمد، يا صاح لقد أعطاني الله أمراً باتخاذ امرأتك لي... وبعد أن اتخذها وزني معها في هذه الحال، أصدر هذا القانون"².

وهنا نلاحظ جلياً أن يوحنا الدمشقي أول من تكلم في هذا الأمر وأول من وضع هذه الشبهة التي لا يزال الفكر الاستشراقي يتوارثها جيلاً عن جيل وينسج حولها الافتراءات والتهم³، وملخص تلك القصة الملفقة الزائفة: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ذهب إلى بيت زيد بن حارثة يسأل عنه فخرجت له زينب بنت جحش حاسرة فأعجبه جمالها ورغب فيها ومال قلبه إليها وانصرف وهو يقول "سبحان مقلب القلوب" فلما علم زيد أراد أن يطلقها فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم- امسك عليك زوجك " وأخيراً طلقها فتزوجها النبي، وأشهر من أورد هذه الرواية الملفقة بالتفصيل هو عمر الواقدي المتوفى سنة 207 هـ وعن طريقه تسربت إلى بعض كتب المفسرين، والمؤرخين⁴.

2 - موقفه من الوحي والقرآن:

- السخرية من القرآن:

"وسخافات أخرى عديدة مستحقة للضحك قد أخبر بها في هذا التصنيف المكتوب الذي يتبجح بأنه قد نزل عليه من الله..⁵" ويتهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه استلم القرآن الكريم في المنام، ومن ثم يبيّن على هذا الاتهام موقفاً للسخرية من القرآن ومن نبي الإسلام، لأن المنام مناط الاحلام والأخبار الكاذبة والأوهام المغلوطة، والوحي ليس مكانه النوم فيقول ساخراً: "ولكيما نسخر منهم نقول: بما أنه استلم الكتاب في أثناء نومه مونما إدراك لهذا النشاط فالمثل الشعبي⁶ من ثم يناسبه تماماً"⁷، وهذا

¹ سورة الأحزاب/ 37.

² المصدر نفسه، ص: 56-57.

³ للرد على هذه الشبهة ينظر مثلاً: زاهر عواض الأملعي: مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي -صلى الله عليه وسلم- بزينب بنت جحش: دراسة تحليلية لأبعاد الموضوع وخطورته القاهرة، 1976.

⁴ علي بن محمد عودة الغامدي، يوحنا الدمشقي رائد العدوان الفكري على الإسلام، ص: 98.

⁵ المصدر نفسه، ص: 52.

⁶ يقصد بالمثل الشعبي: "من ينام يهذي ويرى في الغالب أحلاماً غريبة"

⁷ يوحنا الدمشقي، الهرطقة المئة، ص: 53.

مخالف لما هو ثابت عندنا نحن المسلمين بنص القرآن الكريم والاحاديث النبوية الصحيحة بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يتنزل عليه الوحي في كامل قواه العقلية والإدراكية والروحية، وأنه كان يتنزل عليه في صور مختلفة منها الرؤيا الصادقة التي كانت مبدأ الوحي، وما كان يلقيه جبريل في روعه دون أن يراه، وأنه كان يتمثل له في صورة رجل، وأنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وأن كان يرى الملك وهو يوحى إليه ولم يقع هذا إلا مرتين¹، أما ما ادعاه يوحنا فلا أساس له من الصحة.

- إنكار الوحي ونزول القرآن:

"من الذي يشهد أن الله أعطاه كتابا، أو من أعلن من الأنبياء أن سيأتي نبي كهذا..²" بالنسبة إليه أن كل الانبياء أوحى الله إلهم وكان لهم شهود، ويستشهد بقصة موسى -عليه السلام- وأن الله أوحى إليه على جبل سيناء على مرأى جميع الشعب³، "وعندما نقول لهم لم يأت نبيكم هكذا، مع آخرين يشهدون له"⁴. "إذن قد قبلتم الإيمان والكتاب وحدهما بدون شاهد، لأن الذي نقل إليكم هذا الكتاب لا ضمان له من أي جهة، كما ولا يُعرف أحد شهد لصالحه من قبل، لا بل تسلمه في أثناء نومه علاوة على ذلك"⁵. إن الهدف من هذا المقال ليس الرد على يوحنا الدمشقي وإلا لسقنا عشرات الألة التي تثبت نبوته صلى الله عليه وسلم من كتبهم⁶، وقد تكفل علماء الإسلام بذكر تلك النبوءات الموثقة في الكتاب المقدس والتي تشهد للنبي محمد بالرسالة والنبوة، وأن أهل الكتاب إنما كانوا قبل مجيء الإسلام ينتظرون قدمونه بفارغ الصبر، يقول تعالى: "وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ"⁷. يعلق ابن تيمية على هذه الآية بقوله: "والأخبار بمعرفة أهل الكتاب بصفة محمد صلى الله عليه وسلم عندهم في الكتب المتقدمة متواترة عنهم، وكان قبل مبعث النبي تجري حروب وقتال بين العرب وأهل الكتاب، فيقول أهل الكتاب: قد قرب مبعث هذا النبي الأمي الذي بعث بدين إبراهيم، فإذا ظهر اتبعناه وقتلناكم معه شر قتله، فلما بعث النبي كان منهم من آمن به ومنهم من كفر به فقال تعالى: "وكانوا من قبل يستفتحون" أي: يسنصرون بمحمد -صلى الله عليه وسلم- على الذين كفروا..."⁸.

➤ موقفه من الشريعة:

¹ علي بن محمد عودة الغامدي، يوحنا الدمشقي رائد العدوان الفكري على الإسلام، ص: 72 و 73.

² يوحنا الدمشقي، الهرطقة المثة، ص: 52.

³ لاويين 46/26، الخروج: 09/19، 18/20، 15/24-17.

⁴ يوحنا الدمشقي، الهرطقة المثة، ص: 52.

⁵ المصدر نفسه، ص: 53.

⁶ من النصوص التي فيها بشارة بالنبي محمد -صلى الله عليه وسلم-: سفر التثنية: 18: 19-20، المزمور الاول: 3-1، المزمور 45: 2-5، 16-17. المزمور 72: 2-17، إشعيا: 42: 1-21.....

⁷ سورة البقرة، 89.

⁸ ابن تيمية، تقي الدين، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ت: علي بن حسن بن ناصر، الرياض، 1414 ج: 2، ص: 366-367.

- **مسألة تعدد الزوجات:** "وهكذا فعل بسورة النساء التي قضى فيها لكل أحد جلياً بأن يتخذ أربع نساء وألف خليله إن أمكن، وبقدر ما تخضع له يده منهن علاوة على النساء الأربع"¹.
- وهنا نلاحظ أن يوحنا الدمشقي أول من أثار شبهة تعدد الزوجات في تاريخ التهجم والافتراء على الإسلام من طرف النصارى والمستشرقين، ولورد على هذه الشبهة يمكن الرجوع إلى الكثير من المصادر والمراجع الإسلامية التي تحدثت عن حقوق المرأة في الإسلام وعن الزواج في الشريعة الإسلامية².
- **مسألة الختان:** وفيها يتهم النبي -صلى الله عليه وسلم بأنه أمر الرجال والنساء بالختان: "وقد أوصاهم بأن يختنوا وكذلك نساؤهم"³.
- وهذه تهمة بينة على نبي الإسلام لأنه لا يوجد نص لا في القرآن ولا في السنة يأمر النساء بالختان، ووكّل ما في الأمر رواية عند أبي داود والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب: "عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الانصارية أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ تَخْتُنُ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُنْهَكِي فَإِنَّ ذَلِكَ أَخْطَى لِلْمَرْأَةِ وَأَحَبُّ إِلَى الْبَعْلِ"⁴، وقد بين الألباني رحمه الله ضعف هذا الحديث في كتابه صحيح وضعيف أبي داود⁵.
- كما أن ادعاء يوحنا الدمشقي أن النبي -صلى الله عليه وسلم هو من وضع سنة الختان، فهو يتجاهل بذلك أن هذه سنة الأنبياء والمرسلين والذين ورد ذكرهم في الكتاب المقدس، جا في سفر التكوين أن الله قال لإبراهيم -عليه السلام-: "وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم . هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك، يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم، ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم، وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك يختن ختاناً وليد بيتك والمبتاع بفضتك فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً، وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها . إنه قد نكث عهدي"⁶.
- **مسألة تحريم الخمر:** "وقد حرم عليهم أيضاً شرب الخمرة على الإطلاق"⁷
- مسألة تحليل وتحريم الأطعمة: "مانحاً لهم أن يأكلوا بعض الأطعمة المحرمة من الشريعة، وأن يمتنعوا عن أطعمة أخرى"⁸

¹ يوحنا الدمشقي، المرطقة المثة، ص: 56

² ينظر مثلاً: أحمد علي طه ريان : تعدد الزوجات ومعيّار تحقيق العدالة بينهن في الشريعة، الإسلامية ، القاهرة، 1984م.

³ المصدر نفسه، ص: 61.

⁴ البيهقي، السنن الكبرى، دائرة المعارف النظامية في الهند ببلدة حيدر آباد، ط 1344 هـ، ج 8، ص. 324

⁵ محمد ناصر الدين الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي داود، منظومة التحقيقات الحديثية، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

2002م.

⁶ سفر التكوين: 17: 9-14

⁷ يوحنا الدمشقي، المرطقة المثة، ص: 61.

⁸ المصدر نفسه، ص: 61.

- مسألة السبت والتعميد: "وأمرهم ألا يحفظوا السبت، وألا يعتمدوا"¹ الله سبحانه وتعالى لم ينه المسلمين عن السبت ولم يأمرهم بعدم حفظه، والإشارة في سورة النساء هي تحذير للمسلمين من اللعن الذي قد يصيبهم كما أصاب أصحاب السبت قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا"² فالله تعالى في هذه الآية لم يأمر المسلمين بعدم حفظ السبت كما قال يوحنا الدمشقي، وإنما الحديث موجه إلى اليهود وخاصة الفريسيين الذين أرادوا التخلص من عيسى عليه السلام لأنه كان لا يحفظ السبت في نظرهم.³

أما نهي الإسلام عن التعميد فلا دليل عليه في القرآن ولا السنة كما ادعى ذلك يوحنا الدمشقي من أن الله أمر بذلك، ومن المعروف أن كل الديانات الشرقية عرفت التعميد بدءاً من الديانات الشرقية إلى الديانة اليهودية وصولاً إلى الديانة المسيحية.⁴

➤ الرد على المسلمين والدفاع عن العقائد المسيحية:

- الرد على مقولة إشارك النصارى:

"إنهم يدعوننا مشركين لأننا كما يقولون نشيع إلى جانب الله شريكاً عندما نقول أن المسيح هو ابن الله وأنه الله"⁵.
 "هذا ما نقله إلينا الأنبياء والكتاب المقدس وأنتم أيضاً تقبلون بالأنبياء كما تجزمون، وإذا ما قلنا نحن خطأ بأن المسيحي هو ابن الله، فهم من علمون ذلك ومن نقلوه إلينا"⁶.

هنا يستدل يوحنا الدمشقي على صحة معتقده بما نقله أنبياء العهد القديم والذين كم يقول يؤمن برسالتهم المسلمون أيضاً، والمتفحص لنصوص العهد القديم لا يجد أحداً من أنبياء بني إسرائيل ذكراً شيئاً من المعتقد الذي يؤمن به المسيحيون من ألوهية المسيح وتثليث الإله والصلب والفداء والتجسد، وهو ما ذكره الكثير من المهتدين إلى الإسلام أمثال ابن ربن الطبري⁷ وأنسلم تورميذا وغيرهم.⁸

- البرهنة على ألوهية المسيح:

"أنتم القائلون أن المسيح هو كلمة الله وروحه"⁹، مخلوق وخادم، وأنه ولد بدون مريم، أخت موسى وهارون¹....."

¹ المصدر نفسه، ص: 61.

² سورة النساء/ 47

³ حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي: أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، 1997 م، ص: 252.

⁴ حسن الباش، العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل، دار قتيبة، ط1، دمشق، 2001 م، ص: 169.

⁵ المصدر نفسه، ص: 54

⁶ المصدر نفسه، ص: 54

⁷ ابن ربن الطبري، الرد على النصارى، بيروت ١٩٥٩ م.

⁸ أنسلم تورميذا، تحفة الأريب، تحقيق محمود على حمادة، القاهرة- 1984 م. ص: 78 وما بعدها.

⁹ هنا يستدل يوحنا الدمشقي بما ورد في القرآن الكريم من أن عيسى عليه السلام هو كلمة الله وروحه قال تعالى: "إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ" النساء 171

وينطلق يوحنا من المفهوم المسيحي "لكلمة" و"الروح" ليبرهن على أن المسيح هو الله، وأن المسلمين متناقضين في رؤيتهم للمسيح: "فالكلمة والروح هما غير منفصلين عمن يكونان فيه بالطبيعة، وإذا ما كان المسيح في الله من ثم على أنه كلمة الله، فيكون هو أيضا الله بالتأكيد، ..."².

ومن خلال النص الذي ذكره يوحنا الدمشقي يمكن ملاحظة الآتي:

- تحديد بعض صفات ومواصفات عيسى عليه السلام كما هي عند المسلمين وهذا يدل كما سبق اطلاعه على ما جاء في القرآن الكريم من ذكر للمسيح ودينه.
- محاولة يوحنا الدمشقي لـ معنى الكلمة والروح اللذان وردا في القرآن الكريم، ليقول أن صورة المسيح في المعتقد المسيحي وأنه الكلمة والروح -بالمفهوم المسيحي- قد ذكرا في القرآن الكريم، ومن المعلوم أن معناه في القرآن الكريم يختلف اختلافا تاما مع ما يعتقده المسيحيون في المسيح³.
- خطأ يوحنا الدمشقي من ذكر أن الإسلام والقرآن يذكر من أن مريم عليها السلام هي أخت موسى، فالثابت عندنا أن القرآن ذكر من أنها أخت هارون فقط، وهذا تلفيق منه.

- الرد على عبادة الصليب:

المقابلة بتقبيل الحجر الأسود: "لماذا إذا تحتكون بحجر كعبتكم، هذا وتحبون الحجر حتى معانقته"⁴، ويذكر هنا الكثير من المغالطات التي يبرر بها المسلمون -حسب رأيه- تقديسهم للحجر الأسود، ومنها أن التقديس سببه أن إبراهيم -عليه السلام ربط الناقة به عند تضحيته بإسحاق -عليه السلام-، والمغالطة واضحة في محاولة تمرير أن الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل عليه السلام، والمغالطة الثانية أن إبراهيم عليه السلام قد جامع زوجته هاجر على هذا الحجر⁵، وهي محاولة للقول أن المسلمين يقدسون المذنب والنجس، "فيقول بعضهم إن إبراهيم قد جامع هاجر عليه، وآخرون إنه قد ربط الناقة به عند تضحيته بإسحاق"⁶ وبناء على المقابلة بين تقديس المسلمين للحجر الأسود يبرر سجود المسيحيين للصليب الذي برأيه قهر المسيح الشياطين وطرد إبليس: "بل تلوموننا على سجودنا لصليب المسيح الذي أباد بأس الشياطين وإغراءات إبليس"⁷.

¹ المصدر نفسه، ص: 54

² نفس المصدر، ص: 54.

³ ينظر تفسير ابن كثير لقوله تعالى: "إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَوُجِّهَتْهُ" النساء 171، ص: 374-375.

⁴ يوحنا الدمشقي، المصدر السابق، ص: 55

⁵ هذه روايات لا أصل لها، ولا يبررها يوحنا الدمشقي، ولا يذكر المصدر الذي اعتمده في ذلك، وهو يجعلها مجرد اتهامات باطلة من أجل تبرير عبادة الصليب.

⁶ يوحنا الدمشقي، المهرقة المئة، ص: 55

⁷ المصدر نفسه، ص: 56

خاتمة:

من خلال قراءتنا لما كتبه يوحنا الدمشقي عن الإسلام في كتبه الجدلية، ومن خلال تحليلنا لأهم آراءه المتعلقة بمجده ضد الإسلام والمسلمين يمكن ملاحظة الآتي:

- ما قام به يوحنا الدمشقي من جدل ضد الإسلام يعتبر عملاً تأسيسياً لبداية التفكير المسيحي في الإسلام.
- عملية التفكير المسيحي في الإسلام ومن خلال عمل يوحنا الدمشقي تعتبر بداية مشوهة وغير موضوعية البتة، وهذا ما بيناه من عرض لآراء يوحنا الدمشقي التي غالباً ما كان ينحو منحى التهجم والسخرية والافتراء غير مؤسس على الأدلة.
- على الرغم من معرفة يوحنا الدمشقي باللغة العربية، وعلى الرغم من معاشرته للمسلمين، ومعرفته بالإسلام والقرآن الكريم إلا أنه في مواضع كثيرة من كتبه كان يتحامل على الإسلام والمسلمين ويأتي بآراء لا علاقة لها بالواقع الذي كان يعيشه، وهو ما أثر سلباً على من جاء بعده من المسيحيين والذين كتبوا عن الإسلام تأثر بيوحنا الدمشقي وآرائه المضللة.
- غالب التهم والافتراءات التي جاء بها يوحنا ما زلنا نراها تتداول في الكتب المسيحية الحديثة سواء الجدلية والدفاعية منها، أو في الكتب الاستشراقية، مثل تهمة تعدد الزوجات، وزواج النبي -صلى الله عليه وسلم بزوجة زيد -رضي الله عنهما-، وافتراء النبي وتعلمه من الرهبان النصارى، ونقله من كتبهم...
- لخص ماكينزي Mackenzie أسلوب يوحنا الدمشقي في مجده ضد الإسلام بقوله: "عندما يتعامل يوحنا الدمشقي مع الإسلام، فإنه يهاجم بشدة الممارسات الأخلاقية عند محمد، والتعاليم المبثوثة في القرآن، من أجل إبراز صفاء العقيدة المسيحية وإضفاء الشرعية عليها، وهو إذ يفعل ذلك يستند كثيراً على القديس إبيفان صاحب الهرطقات، حيث يقوم بالهجوم على مخالفه، من أجل إثبات صدق الإيمان الذي ينتمي إليه"¹.
- يقول A-Th. Khoury ملخصاً الفلسفة التي تدور عليها الحركة الفكرية المسيحية في تفكيرها في الإسلام "إن حكم المجادلين على الإسلام ليس في صالحه أساساً، ويمكن تلخيصه في العبارات الآتية: محمد نبي كذاب، والقرآن كتاب مزيف، والإسلام دين مزيف، ... العقيدة تقدم أخطاء شنيعة عن الله، أخلاق منحلة تشجع على الفجور، تشريع يساعد عرائز الإنسان ويكرس الرذيلة مستهيناً بالفضيلة، وأخيراً عبادات لا طائل من ورائها، صلوات وطقوس في الحج مأخوذة من عادات العرب المشركين"².

¹ Ross Mackenzie, Jean Damascène, paris 1994, p : 13

² A-Th. Khoury, les théologiens byzantins et l'islam, p : 312-316 نقلاً عن عبد المجيد الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع عشر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986، ص: 516

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. الكتاب المقدس
3. مجموعة من كبار الباحثين بإشراف: ط. ب. مفرج، موسوعة عالم الأديان، ط. ب. NOBILIS، 2004، ج: 8.
4. مصطفى بوهوب، الاجدل الديني المسيحي الإسلامي تاريخه وموقف الإسلام منه، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات.
5. لقديس يوحنا الدمشقي، الهرطقة المثة، 1997، ص: 49
6. عزيزة فوال بابتي، موسوعة الأعلام: العرب والمسلمين والعالميين، دار الكتب العلمية، ط: 1، 2009، ج: 1.
7. ¹ أنجيليكا غريغوري زياكا، الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمجادلة، مجلة التسامح، المجلد 2010، العدد 29 (31 مارس/آذار 2010).
8. المكتبة الشاملة الحديثة، <https://al-maktaba.org/book/10906/7034> تاريخ الزيارة 2020/02/26 على الساعة 13:18.
9. حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، 1983.
10. جوزيف نصر الله، منصور بن سرجون المعروف بالقدّيس يوحنا الدمشقي، ت: أنطون هبي، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، ط: 1، 1991.
11. محمد حسن بدر الدين، بواكير الجدل الكلامي المسيحي الإسلامي جدل يوحنا الدمشقي مع المسلمين نموذجاً، مؤنون بلا حدودظن قسم الدراسات الدينية، 22 مارس 2018.
12. ريتشارد سودرن، صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ترجمة: رضوان السيّد، دار المدار الإسلامي، ط2، بيروت، 2006.
13. علي بن محمد عودة الغامدي، يوحنا الدمشقي رائد العدوان الفكري على الإسلام، ط: 1، 2015.
14. بتلر، فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أبو حديد بك، القاهرة، 1996م.
15. الرّخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت، 1407 هـ. ج: 2.
16. خميس صالح محمد الغامدي، العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، سالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1414.
17. زاهر عواض الألمعي: مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي -صلى الله عليه وسلم- بزينب بنت جحش: دراسة تحليلية لأبعاد الموضوع وخطورته القاهرة، 1976.
18. ابن تيمية، تقي الدين، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ت: علي بن حسن بن ناصر، الرياض، 1414 ج: 2.
19. أحمد علي طه ريان: تعدد الزوجات ومعيّار تحقيق العدالة بينهن في الشريعة، الإسلامية، القاهرة، 1984م.

20. البيهقي، السنن الكبرى، دائرة المعارف النظامية في الهند ببلدة حيدر آباد، ط 1344 هـ، ج 8 .
21. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي داود، منظومة التحقيقات الحديثية، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية. 2002.
22. حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي: أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، 1997 م،
23. حسن الباش، العقيدة النصرانية بين القرآن والأنجيل، دار قتيبة، ط 1، دمشق، 2001 م.
24. ابن ربن الطبري، الرد على النصارى ، بيروت 1959 م.
25. انسلم تورميذا ، تحفة الأريب، تحقيق محمود على حمادة ، القاهرة -1984 م.
26. ابن كثير أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، بيروت، 2000.
27. عبد المجيد الشرفي، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع عشر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986.
28. Moshe Gil : A history of Palestine 634-1099 A.D Translated From Hebrew by Ethel Broido. Cambridge, 1997.
29. Daniel Sahas , Jean de Damas sur L'Islam, l'hérésie des Ismaélites. Edition E J Brill, Leiden 1972.
30. Ross Mackenzie, Jean Damascène, paris 1994.
31. A-Th. Khoury, les théologiens byzantins et l'islam, Textes et auteurs. VIIIe-XIIIe s, 1969.